(العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي)

تأليف : الأستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار

عرض ودراسة : الأستاذ الدكتور صالح محمد صالح العلي
جامعة البصرة / كلية الدراسات التاريخية
قسم التاريخ الحديث والمعاصر

يكاد يكون هذا البحث عن العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي من إنضح البحوث التي صادفتها في دراساتي عن هذا الموضوع .

ولا أقــول جديداً إذا قلت أن كاتب هذا البحث يعد أحد القلائــل في الوطن العربــي الذين
يملكون خبرة واسعة ودقيقة في ميدان العلاقات الدولية في خليجنا العربي .

وهذا البحث مهم لأنه يتناول العلاقات مع الخليج العربي في العهدين القيصري والسوفيتي .

ويرجع الباحث العلاقات إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حيث حاول الروس
التوغــل والوصول إلى الخليج العربي ، ومن هنا جاء اهتمامهم بمملكة فــارس واستطاعوا أن
يحتلوا مكانــة مرموقة فيهــا ،واستفادوا مــن حالة الفوضى والانحلال اللتين دبتا في جسمها ،

وقاموا بإرسال عدد من البعثات الروسية ، وتقديم مشروعات لمد السكك الحديدية ، وقامت قطعاتهم البحرية بزيارة بعض موانئ الخليج العربي .

لقد دخـــل الروس في تحالـــف مع الفرنسيـــين سنة 1892 وذلك من اجل ضرب المصالح
البريطانية ، وفكروا بمد خط حديدي من احد موانئ بحر قزوين إلى ميناء بندر عباس على الخليج العربي .

وقد قامت القطعـــات البحرية الروسيـــة بزيارات إلى بعـــض موانئ الخليـــج العربي والتي
سماها (لوريمر) بالمظاهرات البحرية الروسية والتي أزعجت البريطانيين في الخليـــج العربي
، وأدى إلى هياج (اللورد كيرزن) نائب الملك في الهند ، إذ فكر بالإطاحة بالروس في الخليج
العربي ، كما كانت تقاريره إلى حكومته مبالغاً فيها .

ومن أشهر القطعات الروسيـــة التي وصلـــت إلى منطقـــة الخليج العربي،الطـــراد الروسي
(نو فكورود) الذي وصل إلى عُمان عام 1893 وقابل ضباطه البحريون (الإمام فيصل) سلطان عُملن من اجل إشعاره بمساندتهم له ضد البريطانيين ، كما فكروا بإقامة مخزن للفحم في جزيرة هرمز وأرسلوا أطباء لميناء بوشهر .

ويوضح الكاتـــب مضي روسيا في مشاريعهـــا في المنطقـــة ، فقد طرحـــت مشروع (الكونت فلاديمير كابنست) عام 1898 لربط الخليـــج العربي بالبحـــر المتوسط بخط حديـــدي جاعلاً نهايته (الكويت) ويرى الباحث أن هذا هو الذي حفز بريطانيا للإسراع بعقد اتفاقية 1899 مع شيخ الكويت ، والتي عارضتهـــا روسيا . ولذلك نشـــط الروس بعد ذلك في عام 1900 وأرسلوا الطراد الروسي (جيلاك) إلى

الخليج العربي ، والذي زار بندر عباس وبوشهر والبصرة والكويت والمحمرة . وجاءت بعده طرادات أخرى ، وكانت الغاية منها الحصول على أحد الموانئ كقاعدة بحرية لروسيا .

كما قام الروس بزيارة إلى عبد العزيز إل سعود ، كما اتصل القنصل الروسي في أصفهان بشيخ المحمرة لغرض استمالته إليهم . حيث قامت بعدئذ بعثة روسية تجارية سنة 1904 بزيارة للمحمرة في محاولة لوضع أسس التبادل التجاري بين الشيخ خزعل الكعبي أميرها وبين روسيا ، إلا إن بريطانيا أحبطت مساعي تلك البعثة .

كما تحولت فارس إلى ميدان للصراع بعد اتفاق الشاه التجاري السري مع روسيا ، وعليه فأن الساسة البريطانيين اخذوا يرسمون الخطط لمواجهة الخطر الروسي .

ونتيجة للخلاف بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند نشطت روسيا في الخليج العربي وأقامت خط ملاحي ثابت ، وبدأت الباخرة (كورنيلوف) رحلتها التجارية الاولى في آذار 1901 إلى جاسك وبندر عباس ولنجة وبوشهر والبصرة . وفتحت قنصلية عامة في بوشهر سنة 1901 ، ولكن على الرغم من ذلك فأن الروس لم يستطي ع ا الحصول على ارجحية في الخليج العربي كما يرى المؤلف ولم تحقق روسيا أهدافها بالرغم من مرور بريطانيا بفترات حرجة كحرب البوير في إفريقيا .

وأخيراً جاء الوفاق البريطاني الروسي سنة 1907 الذي قام بتسوية الخلافات القائمة بين الدولتين ، واعترفت روسيا بمنطقة الخليج العربي ، منطقة نفوذ بريطانية بلا منازع . وفي الحرب العالمية الاولى كانت روسيا تحارب إلى جانب بريطانيا وتشكلت قوات مشتركة لمنع دخول الألمان من الجهة الشرقية .

وبعد تفجير ثورة أكتوبر / تشرين الثاني 1917 ، أظهر قادة الثورة تخليهم عن كل ما حصل عليه القياصرة من مناطق نفوذ في العالم بما فيها منطقة الخليج العربي ، وساندوا رضا شاه بعد اعتلائه كرسي الحكم في إيران أواخر عام 1925 ، كما ساندوه

في خطته الرامية لتقويض حكم الشيخ خزعل في عربستان سنة 1925 ، باعتبار أن الشيخ خزعل من رجالات بريطانيا .

كما اعتمد الحكام الجدد في روسيا قنصلاً لهم في جدة سنة 1924 ، ولكن حينما قامت (مملكة الحجاز وسلطنة نجد وتوابعها) بقيادة ابن سعود في كانون الثاني 1926 ، كان الإتحاد السوفيتي أول دولة أجنبية تعترف بالنظام الجديد ، على اعتبار أن ابن سعود اقل خضوعا للبريطانيين من الشريف حسين ، وكانت موسكو ترجو أن يتحول ابن سعود إلى " بسمارك العرب " . ووجهوا دعوة لوزير خارجيته لزيارة موسكو .

وقد تمخضت تلك الصداقة عن موافقة ابن سعود على تسيير حط ملاحي سوفيتي في البحر الأحمر لخدمة أغراض الحـــج . كما إن المؤتمـــر السادس (الكومنـــترن) سنة 1928 .

رأى أن تلك المنطقة ليست معدة إعداداً كافياً لنشر المبادئ الماركسية ، وأن من الممكن إقامة علاقات تجارية مع الأقطار المستعدة لذلك .

ولم يستطع السوفيت عقد معاهدة مع ابن سعود ، ولكنهم نجحوا في عقدها مع الإمام يحيى ملك اليمن سنة 1928 ، وقد عقدها الإمام لمجابهة الضغط البريطاني . وعلى هذا فاليمن تعد أول قطر عربي يجرؤ على عقد معاهدة مع السوفيت ، وتعين أثر ذلك في صنعاء ، قنصل تجاري سوفيتي .

وحاول الإتحاد السوفيتي أن ينمي علاقاته التجارية مع البحرين ، لكن في الأخير استطاعت بريطانيا أن تضرب التجارة السوفيتية المتنامية في أقطار الخليج والجزيرة العربية بحث حكام المنطقة على مقاطعة السوفيت "الملحدين والشيوعية الكافرة " .

ومن الجدير بالذكر أن السوفيت قد أهملوا الشرق الأوسط والخليج العربي منذ النصف الثاني من الثلاثينات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945 .

ويرى الكاتب أن علاقات الاتحاد السوفيتي الدولية مع أقطار الخليج العربي بعد الحرب العالمية الثانية يمكن تقسيمها إلى مرحلتين .

١ - المرحلة الأولى (قبل سنة 1954) إذ اتصفت العلاقات بالركود والانفلات كلياً عن إحداث العالم بما فيها الخليج العربي .

٢ - المرحلة الثانية (بعد سنة 1954) والتي اتصفت بالانفتاح ومواكبة إحداث العالم ومن ضمنها الخليج العربي .

ثم يأتي الباحث إلى وفاة ستالين وإقامة حلف بغداد سنة 1955 الموجه ضد الاتحاد السوفيتي ، ثم جاء أيضاً مبدأ إيزنهاور الرئيس الأمريكي المعروف (بنظرية الفراغ) سنة 1957 ، الذي يبيح التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية للأقطار الأخرى ، وقد قابله الاتحاد السوفيتي " بمشروع شيبليوف " الذي يتلخص بتعهد الدول الكبرى باحترام سيادة دول الشرق الأوسط وعدم التدخل في شؤونها .

كما يتطرق البحث إلى علاقة الاتحاد السوفيتي بالعراق بعد ثورة 14 تموز 1958 ومساندته لثورة اليمن في أيلول 1962 كذلك مساندته لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية عند قيامها في تشرين الثاني 1967 م .

وعندما حلت الستينات كان الاتحاد السوفيتي قد نجح في إقامة علاقات أوطد مع عدد من أقطار الخليج العربي ، كما ساند الحركات التحررية في المنطقة كجبهة تحرير ظفار والجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل .

ولما أعلن رئيس الوزراء البريطاني ويلسون في كانون الثاني 1968م عن نية بريطانيا الانسحاب من شرق السويس ومن ضمنها الخليج العربي قبل نهاية 1971 ،

وقف الاتحاد السوفيتي بحزم ضد الإطماع الأمريكية واعترف باستقلال البحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة . وشجع الحركات المعادية للاستعمار والقواعد العسكرية غير أنه لم يلق بثقله مع المعارضة السياسية ، كما يرى المؤلف .

ودخل الإتحاد السوفيتي إلى ميدان النفط في الخليج العربي بتوقيعه الاتفاقية السوفيتية العراقية سنة 1969 ، وعقد معاهدة للصداقة والتعاون تقضي بتعزيز طاقة البلدين الدفاعية سنة 1972 . ومن هنا ولهذه الأسباب جاءت دعوة الولايات المتحدة لإقامة الحلف الإسلامي .

ثم يأتي الكاتب إلى علاقة الإتحاد السوفيتي مع إيران ويبرز النظرية السوفيتية التي تدعو إلى إحلال السلام في منطقة الخليج العربي قائلاً بأن الإتحاد السوفيتي هو اخلص للعرب من الغرب واقدر على حماية مصالح العرب .

وبهذا ينتهي هذا البحث المهم والجامع لأوجه العلاقة السوفيتية الخليجية . كما يلاحظ أن الباحث قد رجع في بحثه إلى عدد من المصادر والمراجع المهمة وخاصة المصادر الأجنبية .

كما أن لي ملاحظة على إحدى الفقرات الواردة في البحث وهي أن "الإتحاد السوفيتي هو اخلص للعرب من الغرب " وهذا طبيعي ، ولكن اعتقد بأن تكملة العبارة " واقدر على حماية ومصالح العرب " فأن في ذلك وجهة نظر أخرى ، فالعرب هم اقدر على حماية مصالحهم من أية دولة عظمى .

واعتقد أن الباحث قد تلافى ذلك حينما نشر هذا البحث في كتابه (دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر) . ففيه حذف لكثير من الفقرات ومن ضمنها هذه الفقرة المذكورة أنفاً ، كما أن فيه إضافات قليلة ، لكي تلائم الظروف المستجدة عام 1977 .

ملحق رقم (1)

الأستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار

==========

-مواليد البصرة – 1936 .

-أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة البصرة سابقاً .

-الخبير بتاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية .

-أول مؤسس ومدير لمركز دراسات الخليج العربي .

المشاركات في المؤتمرات والنـــدوات العلمية العربيـــة والعالميـــة .
ومن أهمها أكثـــر من (40) مؤتمراً وندوة علمية

-البحوث والمنشورات في الدوريات : ما يزيد على (200) بحثاً علمياً منشوراً في دوريات عربية وأجنبية .
-الكتب المؤلفة المنشورة / 39 كتاباً .

-نال العديد من الأوسمة والدروع والميداليات والشهادات الفخرية .
-أمين عام مراكز دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية 1979-1985 .

-أمين عام اتحاد المؤرخين العرب 1984-1997 .

-السكرتير العام للرابطة العربية لعلماء التاريخ 2001 .
-المستشار الأكاديمي لوزارة التعليم العالي العُمانية 2001-2003 .

المصادر :

١ -أ.د . مصطفى عبد القادر النجار ، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، العدد الثاني ، البصرة ، 1975 .

٢ -ـــــــــــــــــ ، دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر ، معهد البحوث والدراسات التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1978 .